Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذاته)، وهو يصوغ، على نفس المستوى من الاهتمام، ولو كان لا شعوريا، مستوى الوعي الذي به يتحقب تاريخ الفرد في سيرورته الخاصة. وبالطبع فإن النص السيرذاتي بما أنه نص كهل في غالب الأحيان، فإن الماضي، بوصفه حقيقة جوهرية للكينونة الفردية، يبدو طفولته المنقضية في الزمن، المشتهاة والمحلوم بها والآسرة جميعا.

يصرح جبرا إبراهيم جبرا في مستهل (شارع الأميرات)[1] بأنه استجاب في وضع هذا الكتاب (لطلب صديق). هل نفترض أن شيئا من الحظوة، باعتبار أن الآخر هو الحافز، هي التي خلفت الأثر، وبالنتيجة فإن الكتابة عن الذات تبدو أقرب ما تكون إلى استظهار مقومات الشعور بالأهمية المقررة في نظر الغير؟. ومع أننا نعرف أن جبرا كتب (البئر الأولى، في فترة متأخرة من حياته، للاحتفاء بماضيه الطفولي (إلى حدود ثلاث عشرة سنة)، إلا أنه ظل يستشعر، دوما، ذلك الفراغ النابع من فقدان الدلالة، أي أن حياته، في النصوص، لن تكمل إلا إذا حولها إلى سرود وحكايات مترابطة. ويرى جبرا أيضا أن (الأحداث الشخصية) هي التي تمنح الدلالة لأية حياة، ولذلك تمثل الكتابة حالة من الاستعادة الواعية للمعنى. أما إذا اعتبرنا أن هناك استراتجيات متعددة لتحصيل المعنى، قد تكون إحداها انتخاب الوقائع وانتقاء تعبيراتها الرامزة للفرادة أو للاستحقاق أو لغيرهما بحسب القصد، فإن الكتابة عن الذات تغدو شكلا آخر لبناء العالم الذاتي وفق سيرورة روائية تتوخى الإبلاغ. ألا يمكن اعتبار السيرة الذاتية هنا رواية مقنعة أيضا ؟. إن الإسم العلم بوصفه بؤرة الحكي وسيرورته هو السارد الذي يكوّن العالم المروي من خلال رؤيته، وهو، في الوقت نفسه، تلك الشخصية المتحولة، سواء في انتقالها الزمني، أو عبر شبكة من العلاقات العامة، أو بواسطة الدلالات المنتجة من جراء التركيز على هذا المنحى أو ذاك من مناحي الوجود داخل النص ككل.

إن (شارع الأميرات) يروي، كما يقول جبرا، مرحلة مطلع الخمسينات (التي جئت فيها إلى بغداد ، وإذا بها المنعطف الأكبر في حياتي...). بيد أننا نخرج، من قراءة المقدمة، بفكرة أخرى مفادها أن السيرة الذاتية لا تتظمهر في النص وحده (إذا ما نظرنا إليه كجنس مخصوص، أي كسيرة ذاتية) بل في الكتابة نفسها باعتبارها انتاجا أدبيا، أي في النصوص الموازية كذلك. إنه يشير، في هذه المقدمة، نفسها، إلى البئر الأولى)، وهي سيرة ذاتية صريحة، ولكنه يشير إلى مجموع إنتاجه اللاحق كذلك، وهو روايات واستجوابات وأشعار ودراسات نقدية ...إلخ. هل يمكن أن نجد في هذا الانتاج، انطلاقا من قواعد مفترضة للنوع الأدبي، تاريخ الأنا بمختلف تمظهراته الممكنة ؟.

---

1 ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1994، بيروت، لبنان، 253 ص.